جامعة المنصورة
كليـة الآداب
–

مظاهـر التخفيف في عربيـة القـرآن
تغيرات تجاور المتقاربين نموذجا

إعـــداد
دكتور / كامل عبدالغني محمد شلقامي
دكتوراه في اللغة العربية – قسم النحو والصرف والعروض
كلية دار العلوم– جامعة المنيا .

مجلة كليـة الآداب – جامعـة المنصـورة
العدد الثامن والخمسون – يناير ٢٠١٦

مظاهر التخفيف في عربية القرآن

تغيرات تجاور المتقاربين نموذجا

د/ كامل عبدالغني محمد شلقامي

أولا : الإطار العام

١ - الموضوع

جوانب هذا البحث متعددة، فمنها ما يتعلق بالجانب الصوتي، باعتباره المستوى الأول المؤثر في الكلام العربي، ومنها ما يتعلق بالجانب الصرفي، حيث إنه يمس بنية الكلمة، فمما هو معلوم أن العربية لها أربعة مستويات هي الصوت والبنية والتركيب والدلالة، وهذه المستويات تمثل مصطلح البنيوية في العصر الحديث، ويأتي الصوت كمؤسس لهذه المستويات جميعا.

وتتعلق الدراسة أيضا بجانب مهم وهو التجاور أو المجاورة بين الحروف؛ فلا تكتفي هذه الدراسة بالحروف مفردة لمعرفة مخارجها وصفاتها وإنما تتصدى لها من خلال تركيبها في كلمات، وإني لأظن أن التجاور قد يجعلنا نلقي بظلالنا نحو الموقعية؛ أي موقعية الحروف، هذه الموقعية التي يحاول البحث أن يثبت أسبقية الدرس العربي الصوتي في كثير من الأمور المتعلقة بها.

وتتعلق أيضا بالتقارب، فالتقارب يعد مخصصا لهذا التجاور؛ لأن علاقات الحروف أربعة هي التباعد والتقارب والتجانس والتماثل، وهي بهذا الترتيب من الأبعد للأمثل، وهذا البحث يلقي الضوء على جانب واحد من جوانب علاقات الحروف وهو التقارب ، وتقسيم الأصوات العربية إلى متماثلة ومتجانسة ومتقاربة ومتباعدة، أمر يدل على إدراك لخصائص الأصوات، فهي فعلا إذا التقت إما أن تكون متفقة في المخرج والصفات فهي حينئذ متماثلة، وإما أن تكون متفقة في المخرج مختلفة في الصفات فهي حينئذ متجانسة، وإما أن تتقارب في المخرج أو الصفات ولكن دون أن تكون متفقة، فهي حينئذ متقاربة، وهي بعد ذلك قد تتباعد في كل شيء فتوصف حينئذ بأنها متباعدة.(١)

ومصطلح التقارب اختلف فيه بين المتقدمين والمتأخرين من علماء العربية، فالمتقدمون جعلوه مصطلحا يشمل كل متقارب ومتجانس، لكن المتأخرين فرقوا بين الأمرين، فجعلوا للمتقارب مفهوما يختلف عن مفهوم المتجانس، فسيبويه – وهو من المتقدمين – استخدم المتقارب مصطلحا دالا على الاثنين حيث قال :" ومن الحروف ما لا يدغم في

مقاربه ولا يدغم فيه مقاربه، كما لم يدغم في مثله."([٢]) فاستخدم سيبويه التقارب والتماثل ولم يذكر التجانس، على حين أننا نجد أن هناك من علماء العربية من وسع دائرة المتقارب، فأبو علي الفارسي جعل المثلين والمتجانسين من داخل المتقارب، وذلك في معرض حديثه عن النون حيث قال :" والنون مع الحروف ثلاث أحوال: الإدغام، والإخفاء، والبيان، فإنما تدغم إذا كانت مع مقاربها، كما يدغم سائر المقاربة فيما قاربه،"([٣]) فمن المعلوم أن النون تدغم في النون للتماثل وتدغم في الميم للتجانس وتدغم في الراء واللام والواو والياء للتقارب، لكن أبا علي سوى بين الثلاثة، أما المتأخرون فقد فرقوا بين المصطلحات الثلاثة وهي التماثل والتجانس والتقارب، ومهما يكن من أمر فإن هذا التفريق يدل على إدراك ووعي بخصائص الأصوات العربية .([٤])

وتمس الدراسة أيضا أصلا من أصول العربية وهو السهولة والتخفيف، وهذا الأصل من الأهمية بمكان؛ لأن القرآن عندما نزل على الرسول نزل على سبعة أحرف وذلك تخفيفا وتيسيرا على الأمة، " فمن ينعم النظر في طبيعة الأمة العربية ذات القبائل المتعددة واللهجات المتباينة يستطيع أن يتوصل من خلال ذلك إلى عدة أشياء تعد سببا موجبا إلى أن يسأل الرسول ربه– عز وجل – أن ينزل عليه القرآن بأكثر من حرف حتى وصل إلى سبعة أحرف ، ولعل من أهم الأسباب في تعدد القراءات تتمثل في إرادة التخفيف، والتيسير على هذه الأمة تمشيا مع قول الله – تعالى – " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " ولأنه لو أرادت كل قبيلة من القبائل العربية أن تقرأ بلهجة تختلف عن لهجتها التي اعتادتها لاشتد ذلك عليها، فأراد الله – تعالى– بحكمته الواسعة أن يجعل لهذه القبائل متسعا وتيسيرا في قراءة القرآن الكريم فأنزل القرآن على سبعة أحرف " ([٥]) .

والتخفيف والسهولة أصل من الأصول العامة التي تحكم العربية في نطقها وبنيتها وتركيبها، فهو بمثابة قانون متبع لابد من اللجوء إليه عندما يحدث ثقل في الكلام على جميع مستوياته، وهذا الكلام يجرنا إلى مسألة الثقل والخفة، كيف نحكم عليها من ناحية الأصل والفرع؟ فاللفظ الخفيف فرع على اللفظ الثقيل هكذا نص ابن خالويه على ذلك في كتابه إعراب القراءات السبع([٦])، إذا فكيف نعالج هذه المسألة ؟ إن الأصل في اللفظ أو التركيب أنه سهل فإن طرأ عليه ثقل لجأنا إلى الأصل في ذلك وهو التخفيف، ومن ثم فإن ما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام الفرق بين أمرين، أولهما أن التخفيف أصل من أصول العربية تجنح إليه العربية في

جميع مستوياتها، والصوت جزء من هذه المستويات، وثانيهما أن اللفظ الخفيف فرع على اللفظ الثقيل، لأن اللفظ الثقيل حدث فيه تغيير، وكل تغيير على الأصل فهو فرع لهذا الأصل.

والتخفيف والسهولة لا تعني التساهل في حق النطق العربي الفصيح؛ فعلماء العربية والتجويد اهتموا بموضوع الظواهر الصوتية الناجمة عن تجاور المتقاربين من إدغام وإخفاء وقلب وحذف، وهذه الظواهر مقرة بالاستخدام اللغوي الصحيح، وكما اهتموا بهذه الظواهر اهتموا أيضا بالظواهر التي لا يقرها الاستخدام اللغوي؛ وذلك لترسيخ النطق الصحيح واجتناب بوادر اللحن الخفي؛ لأن ألسنة الناطقين تميل إلى السهولة والاقتصاد بالمجهود، ولوترك الأمر من غير ضوابط لأدى تراكم تلك الانحرافات إلى تغير النطق العربي وابتعاده عن صورته الأولى التي كانت سائدة وقت نزول القرآن الكريم، ومن ثم انبرى علماء التجويد لمعرفة شوائب الحروف، والمقصود بشوائب الحروف تلك الظواهر الصوتية التي لا يقرها الاستعمال اللغوي.

أما المصطلح الأخير فلقد استعرته من أستاذنا الدكتور عبدالصبور شاهين وهو عربية القرآن؛ نظرا لأن القرآن أكسب اللغة العربية الثبات والاستقرار، وهذه الخاصية متضافرة مع الخصائص الأخرى جعلت العربية تتميز عن غيرها من اللغات، ولقد ذكر أستاذنا أن الشعر الجاهلي هو البداية الحقيقية لهذه اللغة، ثم طرح مثالا على سلاسة التعبير والقدرة على صوغ الموقف النفسي بعبارات أخاذة ساحرة بعيدة عن الإسفاف والابتذال، فذكر هذين البيتين لعنترة ابن شداد :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل

مني وبيض الهند تقطر من دمي .

فوددت تقبيل السيوف ؛لأنها

لمعت كبارق ثغرك المتبسم .

فقرر بهذا المثال أن العربية ارتفعت إلى درجة سامية في مجالاتها المختلفة.

وعلى الرغم من أن العربية ارتفعت إلى درجة سامية في مجال الشعر والنثر وسائر فنون التعبير، إلا أن هذه اللغة قفزت قفزة هائلة بنزول القرآن (بلسان عربي مبين)، وإذا وصف القرآن في الآية بأنه (بلسان عربي مبين)، فإن معنى ذلك أن البيان لم يتوفر لنص لغوي قبله في مستوى بيانه.(٧)

فالدراسة بهذا الشكل تحاول الإطلالة على هذه الجوانب وهي (التغيرات الصوتية (مظاهر التخفيف)، المجاورة ، التقارب، التخفيف، عربية القرآن) .

٢ - أهداف الدراسة .

من أهداف الدراسة التأكيد على أن النحاة كانوا على إدراك تام بالجزئيات الحاكمة للنظـــام الصوتي في العربية، ويتجلى ذلك في أن ظاهرة الإدغام هي أكثر الظواهر الصوتية دورانا فـــي كلام العرب، وهذا يدل على جنوح العربية إلـــى التخفيف، ويتجلى ذلك أيضا في تفريقهم بـــين الحرف المخفف والمضعف، وليس كمـــا ذهـــب ماريو باي إلى أن اصطلاح الصامت المضعف هو اصطلاح مضلل، حيث يرى أن :" اصطلاح الصامت المضعف double consonant" هو اصطلاح مضلل حقا؛ لأنه قد استعير من طريقة الكتابة، ففي النطق، يمـــد الصـــوت الصـــامت بتطويل مدة النطق به، إذا كان هذا المد ممكنـــا. ويكون هذا ممكنا إذا لم يكن الصوت الصـــامت انفجاريا وبما أن الانفجاري لا يمكن مده عنـــد نقطة مخرجه، فإن ما يسمى تطويلا بالنسبة له، يكون عن طريق إطالة مدة قفل الطريـــق أمـــام الصوت قبل تفجيره".

فتعليله يؤدي إلى ثقل في زمن الســـاكن في الصامت المضعف لا سيما إن كان الحـــرف رخوا، هذا الثقل يزداد بإطالة مدة قفل الطريـــق أمام الصوت الانفجاري أو الشديد.

من أهداف هذه الدراسة أيضـــا التنبيـــه على أنه لابد من الاستفادة مـــن كتـــب علمـــاء التجويد عند التصدي لدراسة علـــم الأصـــوات العربية؛ لأن إهمال كتبهم سيؤدي إلى حرمـــان الإفادة من هذه الكتب، وفي هذا الصدد ينبغـــي النظر إلى أن " دراسة الأصوات العربية كـــان يتقاسمها علماء العربية وعلماء التجويد، وكـــان كل فريق يأخذ من الآخر، والفـــرق بينهمـــا أن علماء العربية لم يخصصـــوا للموضـــوع كتبـــا مستقلة، وكانت دراســـتهم الصـــوتية مرتبطـــة بقضايا صرفية، أما علماء التجويد فقـــد جعلـــوا دراستهم مستقلة في كتب خاصة، كما أنها كانت عندهم على نحو أشمل، ولكن ذلك كله لا يغيـــر من حقيقة جوهرية هي أن دراســـة الأصـــوات العربية موضوع لغوي أساسا، سواء أقـــام بهـــا النحاة أم قام بها علماء القرآن، وسواء ارتبطـــت بنص محدد مثل ألفاظ القرآن الكريم، أم كانـــت تعنى بنص لغوي يشمل القرآن ونصوص لغـــة العرب من شعر ونثر، في عصر محدد أو غير محدد "([٨]).

ومن أهدافها أنها جاءت لتحكي الارتباط الوثيق بين اللغة العربية والقرآن الكريم؛ فهي في هذا المجال الصوتي تعد حلقة من حلقات الدفاع عن اللغة الفصحى، كما أن هذه الدراسة تـــدعو إلى عدم القطع والانفصال بين العربية والقرآن؛ فهذه الدراسة تعد ردا واضحا على من دعا إلى

قطع الصلة بين العربية والإسلام حتى يمكن لها أن تتطور وتتحرر من القرآن .(٩)

ومن أهداف هذه الدراسة أيضا التأكيد على الارتباط الوثيق بين علوم اللغة وفروعها من صوت وصرف ونحو ودلالة.

٣ - سبب ومنهج .

نبتت فكرة هذا البحث عندما سمعت بعض القراء وهو يقرأ بقراءات مختلفة، فوجدت إدغاما لأحرف، وتسكينا لأخرى، فراعني ذلك، فحاولت البحث عن السبب في اختلاف القراء، فوجدت – بالبحث – أن هذا منشؤه التخفيف، فأردت القيام ببحث في مظاهر التخفيف يكون متصلا بالدراسات الصوتية والصرفية، لكن هذا الموضوع فضفاض؛ لأنه يتعلق بأصل من أصول العربية وهو السهولة والتخفيف، فأردت تخصيص ذلك فوقعت عيني على أن أتتبع مظاهر التخفيف الناجمة عن تجاور المتقاربين، ولم أبحث في المتماثلين أو المتجانسين ؛ لأن الكلام فيهما قد كثر بين العلماء، ولست أدعي بذلك أني ألبست الموضوع ثوب الجدة والحداثة، لكني قصدت إماطة اللثام عن جزئية مهمة من جزئيات الدرس الصوتي، باحثا عن علة الظاهرة الصوتية، فالتخفيف هو علة التغيرات الصوتية المختلفة ، جنحت إليه العربية لتحافظ على عذوبة لفظها وسهولته، وهذه الدراسة من الأهمية بمكان، فلقد علل أبو حيان درس علماء العربية الحروف ومخارجها وصفاتها فقال :" إنما ذكر النحويون صفات الحروف لفائدتين: إحداهما لأجل الإدغام، ثم قال: والفائدة الثانية وهي الأولى في الحقيقة بيان الحروف العربية حتى ينطق من ليس بعربي بمثل ما ينطق به العربي، فهو كبيان رفع الفاعل ونصب المفعول، فكما أن نصب الفاعل ورفع المفعول لحن، كذلك النطق بحروفها مخالفة مخارجها لما روي من العرب في النطق بها لحن" .

وفي سبيل ذلك قمت بوصف مظاهر التخفيف في اللغة العربية التي ارتبطت بقراءة القرآن الكريم، وتتبعت المواضع التي جاءت في أمهات كتب العربية عند علماء العربية والتجويد، وعرجت على بعض الكتب لعلماء الأصوات المحدثين، وحاولت التوصل إلى سبب لتنوع هذه المظاهر، وذلك عن طريق التحليل للشواهد الصوتية موضع البحث .

ثانيا : أبعاد الدراسة .

ولقد اقتضت منهجية البحث في هذه الدراسة أن تكون في تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة بها أهم النتائج والتوصيات .

وهذه المباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : الإدغام مظهر من مظاهر التخفيف.

المبحث الثاني : الحذف مظهر من مظاهر التخفيف.

المبحث الثالث : الإبدال مظهر من مظاهر التخفيف.

المبحث الرابع : الإخفاء مظهر من مظاهر التخفيف .

تمهـــيد:

مظاهر التخفيف تعني التغيرات الصوتية التي لجأت إليه العربية للتخلص من هذا الثقل، وتمثلت هذه المظاهر التي نجمت عن تجاور المتقاربين في الإدغام والحذف والإبدال والإخفاء.

ومما تجدر الإشارة إليه هو التفريق بين تناول القدماء للتغيرات الصوتية والمحدثين، وتناول القدماء أنفسهم مختلف بين النحاة وعلماء التجويد والقراءات ، النحاة كانوا أسبق من علماء التجويد والقراءات في تناولهم للدراسات الصوتية، وإن كان تناولهم أقرب إلى التنظير منه إلى التطبيق مع إيراد الشواهد المؤيدة للموضوع ، فالناظر إلى كتاب سيبويه يحس أنه خصص الجزء الرابع للتغيرات الصوتية، وكان مما بوب له سيبويه، وهو متصل بموضوع بحثنا "باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد" وكذلك بوب لغير ذلك من المظاهر الصوتية الأخرى كالإمالة والوقف، ومخارج الأصوات والإعلال والإدغام، وأما علماء القراءات فقد تناولوا التغيرات الصوتية في ضوء اختلاف قراءات الأئمة السبعة بالأمصار، فهاهو ابن مجاهد يقول في كتابه (السبعة في القراءات) :" اختلف الناس في القراءة كما اختلفوا في الأحكام ورويت الآثار بالاختلاف عن الصحابة والتابعين توسعة ورحمة للمسلمين وبعض ذلك قريب من بعض،" (١٠) وفي ثنايا كتابه بوب لكثير من مظاهر التغيرات الصوتية، كذكر الإدغام واختلافهم فيه، وإدغام المتماثلين، و النون الساكنة والتنوين، و المد والقصر، وياءات الإضافة المكسور ما قبلها، وغير ذلك من المظاهر الصوتية المختلفة، وكان تناولهم أقرب إلى التطبيق، فكانوا يطبقون هذه الأحكام على القراءات كلها في سور القرآن، وأيضا أبو عمر الداني في القرن الخامس الهجري يحدد في كتابه التيسير في القراءات السبع منهجية تناوله للتغيرات الصوتية قائلا: " أما بعد فَإِنَّكُم سألتموني أحسن الله إرشادكم أن أصنف لكم كتابا مُخْتَصرا في مَذَاهِب الْقُرَّاء السَّبْعَة بالأمصار رَحِمهم الله يقرب عَلَيْكُم تنَاوله ويسهل عَلَيْكُم حفظه ويخف عَلَيْكُم درسه ويتضمن من الرِّوَايَات والطرق مَا اشْتهر وانتشر عِنْد التالين وَصَحَّ وَثَبت عِنْد المتصدرين من الأيمة الْمُتَقَدِّمين فأجبتكم إلى مَا سألتموه."(١١)

وقد تتنوع مظاهر التخفيف عند العربية في الموضع الواحد فنجد الإدغام والحذف، فمن ذلك ورود ست قراءات في قوله تعالى :" وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا "، " قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وعاصم والكسائي تُساقِطْ بالتاء وتشديد السين، وقرأ الأعمش وحمزة تساقط بالتاء وتخفيف السين، وقرأ البراء بن عازب يسّاقط بالياء وتشديد السين، وقرأ مسروق بن الأجدع تسقط والقراءتان الباقيتان تُساقِطْ ونساقط. قال أبو جعفر: فالقراءة الأولى أصلها تتساقط ثم أدغمت التاء في السين، والثانية على الحذف، والثالثة على الإدغام ولا يجوز معها الحذف."([١٢])

ومن هذا التنوع أيضا قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر: (ويوم تشقق) مشددة الشين، وقراءة الباقين لـ (تشقق) خفيفة الشين، فقال أبو علي الفارسي :" وتقدير تشّقّق: تتشقق، فأدغم التاء في الشين، لأنّ الصوت بالشين يلحق بمخارج هذه الحروف التي من طرف اللسان وأصول الثنايا، فأدغمن فيها كما أدغمن في الضاد لما كانت كذلك، وكما يدغم بعضهن في بعض. ومن قال: تشقق بتخفيف الشين حذف التاء التي أدغمها من قال: تشّقّق. قال أبو الحسن: الخفيفة أكثر في الكلام نحو: تذكّر أمة الله، لأنّهم أرادوا الخفّة، فكان الحذف أخفّ عليهم من الإدغام." ([١٣]) فكلتا القراءتين تعد مظهراً من مظاهر التخفيف؛ لكن كل قارئ نحى منحى مختلفا عن الآخر، فالثقل حاصل من تجاور المتقاربين في المخرج، وهما (الشين والتاء)، فبعضهم تخلص من الثقل بالإدغام والآخرون تخلصوا منه بالحذف، وهنا تبرز أصالة العربية وقرائها في جنوحهم إلى التخفيف بشتى الطرق مع الحفاظ على الرسم القرآني .

وهذا البحث يحكي قصة ارتباط علم الأصوات بالبنية، لا سيما في المباحث الثلاثة الأولى؛ فالإدغام لابد من دراسته حتى نتمكن من معرفة أصل الكلمة، وإلى أي نوع من الإدغام يندرج هذا اللفظ؟ هل هو من إدغام المتماثلين أم إدغام المتقاربين؟ كل هذا يؤثر في معرفة الجذر الثلاثي للكلمة، وهو بدوره يؤثر على المعنى المعجمي، الذي يكون جزءا في تكوين الدلالة النحوية في النص ، فكلمات مثل يدخرون وست تحكي هذا التفاعل بين الأصوات والبنية والدلالة التركيبية.

ومعرفة الإبدال والإقلاب والحذف تفيد في معرفة أصل الكلمة، ومعرفة أصل الكلمة له علاقة وثيقة بالميزان الصرفي .

وهذا الكلام يذكرنا بقول أستاذنا الدكتور/محمود السعران حيث يقول :" ولا شك في أن كثيرا من "أصول" النحو العربي تقوم

على أسس صوتية وذلك كالتصور الخاص بـ"الحرف"، و"الحرف المتحرك" و"الحرف الساكن"، وكمعاملة "حروف المد واللين" معاملة "السواكن" –مع التسليم بأنها من الطبقة التي ندعوها حديثا "الصوائت"، وليست من تلك التي نطلق عليها "الصوامت"– وكالعلاقة التي تصورها النحاة بين "الحرف" و"الحركة"، وبينه وبين "السكون. "(١٤)

ومما تجدر الإشارة إليه أن مصطلح الإخفاء يعد مصطلحا صوتيا محضا؛ لأن تحقيق الإخفاء لا يؤثر على بنية الكلمة، ومن ثم فأخرت الكلام عليه في المبحث الأخير .

المبحث الأول: الإدغام مظهر من مظاهر التخفيف.

لقد حدد الفراء أصلا من أصول الدرس الصوتي في العربية وهو المحافظة على التخفيف حيث قال وهو يتحدث عن إدغام لام هل وبل : " وكذلك فافعل بجميع الإدغام، فما ثقل على اللسان إظهاره فأدغم، وما سهل لك فيه الإظهار فأظهر ولا تدغم."(١٥)

وقال الداني: " وإنما أدغمت العرب والقراء طلبا للتخفيف وكراهة للاستثقال بأن يزيلوا ألسنتهم عن موضع ثم يعيدوها إليه، إذ في ذلك من التكلف ما لا خفاء فيه، ألا ترى أن الخليل – رحمه الله – شبّه ذلك بمشي المقيد، وبإعادة الحديث مرتين، فخففوا بالإدغام من أجل ذلك مع توفر المعنى به".(١٦)

فالناظر إلى كلام الفراء والداني يجد أن الإدغام مظهر من مظاهر التخفيف جنحت إليه العربية والقراء؛ للتخلص من الثقل الناجم عن تجاور الحروف المتماثلة والمتجانسة والمتقاربة، والإدغام له أنواع كثيرة، وهذه الأنواع تتحدد بناء على جملة من المؤثرات، ومن جملة هذه المؤثرات في تحديد نوع الإدغام حركات المتقاربين المتجاورين، فإذا كان الأول ساكنا والثاني متحركا كان الإدغام صغيرا؛ لأنه لا يحتاج إلا إلى أمر واحد حتى يتم الإدغام، وهذا التغير هو القلب والإدغام، لذلك فهو صغير تبعا للتغيرات التي تطرأ عليه، وإذا كان المتقاربان متحركين احتيج إلى تغييرين اثنين حتى يتم الإدغام، وهما الإسكان والقلب، فسمي حينئذ كبيرا.

ومن جملة المؤثرات في تحديد نوع الإدغام نوع الحرفين المدغمين، ونوع الحرفين لا يخرج من علاقات الحروف وهي التماثل والتجانس والتقارب.

ومن هذه المؤثرات أيضا (ثنائية القوة والضعف في الحروف) فهذه الثنائية تؤثر في نوع الإدغام من حيث تمامه ونقصانه، فإذا كان الحرف الأول قويا والثاني أضعف منه وحدث

بينهما تقارب ناجم عن التجاور حينئذ لا يمكن للإدغام أن يكون كاملا، فلماذا لا يمكن للإدغام أن يكون كاملا هنا؟

هناك أمران حاكمان لتمام الإدغام ونقصانه، فأولهما التماثل أو التقارب الناتج عن المجاورة، والآخر هو قوة الحرف أو ضعفه، فمن المؤكد أن الحرف القوي له صفات قوية هي التي جعلت هذا الوصف يلحق به، وفي إدغام هذا الحرف القوي في الضعيف ستضيع هذه الصفات القوية؛ لأن ذات الحرف وصفته ستنتهي، لكن العربية سلكت مسلكا فريدا من حيث إعطاء كل حرفه حقه ومستحقه، فأدغمت الحرف القوي في الضعيف وأبقت على صفات القوة التي في هذا الحرف، هذا من حيث المضمون، وأما من حيث الشكل فعرته من التشديد دلالة على نقصان هذا الإدغام، ومن ثم أطلقت على مثل هذا النوع من الإدغام الإدغام الناقص، ولقد جعل برجشتراسر مصطلح التشابه نظيرا لمصطلح الإدغام، وقسم التشابه إلى كلي وجزئي، غير أن التشابه الكلي لديه يشير به إلى الحرف المشدد ذي الأصل المتجانس أو المتقارب، أما الحرف المشدد ذو الأصل المتماثل فجعله مقابلا لمصطلح الإدغام لدى قدماء العرب، وأطلق التشابه الجزئي على كل حرفين أثرا في بعضهما تأثيرا صوتيا ولم يؤد إلى اتحاد الحرفين .([١٧]) فأقرب مصطلح إلى الإدغام الناقص في العصر الحديث هو التشابه الجزئي لدى برجشتراسر .

وفي المقابل إذا ما توافر الشرط الأول من حيث تجاور المتقاربان، وكان الحرف الثاني أقوى من الأول، ذهبت ذات الحرف وصفته، وجاء التشديد في الحرف الثاني دليلا على كمال الإدغام، وأطلقت العربية على مثل هذا النوع من الإدغام الإدغام الكامل، ويبدو أن الإدغام الكامل الذي أصله التماثل لا يوجد ما يقابله لدى برجشتراسر، حيث إنه جعل التشابه الكلي مصطلحا للأمثلة التي تقاربت حروفها فأدت إلى الاتحاد نحو (ادعى ، اطرد ، اذكر) .([١٨])

وقوة الحرف مصحوبة بالتقارب أثرت في الإدغام، ولقد أجمل الداني هذا الكلام – الحديث عن ثنائية القوة والضعف – فقال: " وجملة الحروف التي تمتنع من الإدغام لزيادة صوتها ثمانية أحرف، وقد جمعتها في قولك: فزم ضرس شص: الشين والضاد والراء والصاد والسين والزاي والميم والفاء. أما الشين فمن أجل تفشيها، وأما الضاد فلاستطالتها، وأما الراء فلتكريرها، وأما الصاد والسين والزاي فلصفيرهن، وأما الميم فلغنتها، وأما الفاء فلتفشيها "([١٩]). والملاحظ على قول الداني السابق أمران، أما الأول فإنه لم يذكر حرف

الطاء بالرغم أنه أقوى الحروف، وأما الآخرففي إيراده حرف الفاء من جملة الحروف التي بهـا زيادة في الصوت، حيث إنه ألصق بهـا صـفة التفشي، وذلك بالرغم أن هناك اختلافـا حـول العلماء في تفشي الفاء.([٢٠])

ويبدو أن هذه الثنائية جعلت أبا جعفـر النحاس يجوز إدغام الثاء في التاء إدغاما كاملا ؛ لضعف الأول عن الثاني فالثاء أضـعف مـن التاء لرخاوة الثاء وشدة التـاء، فـالقرب فـي المخرج وثنائية القوة والضـعف هنـا جعلـت الإدغام كاملا، فيجوز "لبتم" في قوله تعـالى :" قال قائل منهم كم لبثتم ".([٢١])

ومما هو جدير بالذكر في هـذا المقـام الإشارة إلى ما ذهب إليه غانم قدوري – صاحب كتاب الدراسات الصوتية عند علماء التجويـد – من أن مكي بن أبي طالب هو واضع نظرية قوة الحروف وضعفها، وأنه أقدم من تكلم عن هـذا الموضوع وأفاض فيه وعرض تفصيلاته حيـث قال :" لا نجد في كلام متقدمي علماء العربيـة شيئا واضحا ومفصلا عن موضوع قوة الصوت وضعفه، ويبدو أن علماء التجويد هم أول مـن بحث هذا الموضوع على نحو مفصل، وربمـا كان مكي بن أبي طالب هو واضع نظرية قـوة الحروف وضعفها لدى علماء التجويد، فهو أقدم من تكلم عن هذا الموضوع وأفاض في الحديث عنه وعرض تفصيلاته في أكثر من كتاب مـن كتبه، ويكاد كلام الذين جاءوا من بعـده يكـون اقتباسا منه"([٢٢]).

غير أننا إذا ما نظرنا إلى هذا الأمر كان لنا وجهة نظر أخرى، فانظر إلـى أبـي علـي الفارسي([٢٣]) وهو إمام من أئمة العربية تجده قد سبق مكيا([٢٤]) – بحوالي قرن من الزمان – في الحديث عن هذه الثنائية، وكلامه عن هذا الأمر في أكثر من موضع في كتابه (الحجـة للقـراء السبعة)، ففي توجيهه لقراءة أبي عمرو وحمزة قول الله تعالى (بيت طائفة) بإدغام التـاء فـي الطاء قال أبوعلي :" وجه الإدغـام: أن الطـاء والتاء والدال من حيّز واحد، فالتقـارب الـذي بينهما يجريهما مجرى المثلين في الإدغام. ومما يحسّن الإدغام أنّ الطـاء تزيـد علـى التـاء بالإطباق، فحسن إدغام الأنقـص صـوتا مـن الحروف في الأزيد، بحسب قبح إدغام الأزيد في الأنقص، ألا ترى أنّ الضاد لا تدغم في مقاربها، ويدغم مقاربها فيها وكذلك الصاد والسين والزاي لا تدغم في مقاربها، ويدغم مقاربها فيها، ويدغم بعضها في بعض"([٢٥]). فمصطلح الأزيد صـوتا والأنقص صوتا المراد به القوي مقابل الضعيف، وفي موضع آخر عرض مثل هذه الفكرة حـين رد إدغام الكسائي الفاء في الباء من قوله تعالى (أن نشأ نخسف بهم) بحجة أن الفاء فيها زيـادة

في الصوت عن الباء، ثم عقب كلامه قائلا :" فما كان من الحروف يذهب الإدغام منه زيادة صوت فيه من نحو ما ذكرنا، لم يجز إدغامه في مقاربه العاري من تلك الزيادة، وكذلك الفاء مع الباء"(٢٦). ويبدو أن أبا علي الفارسي قد تأثر في رده بسيبويه ، حيث إن سيبويه لا يجيز إدغام الفاء في الباء .(٢٧) ومهما يكن من أمر فإن هذا الكلام وهو – إيراده عبارات مثل: الأزيد صوتا والأنقص صوتا وزيادة صوت – يوضح أن أبا علي الفارسي كان على دراية بمسألة القوة والضعف في الحروف .

ويبدو أن ثنائية القوة والضعف في الحروف هي التي جعلت القراء يتفقون على إدغام النون الساكنة أو التنوين في الراء إدغاما بغير غنة، والسبب في ذلك أمران، هما قرب المخرج (التقارب) وقوة الثاني وهو الراء، فهذان الأمران سوغا للقراء الإدغام بغير غنة ، والإدغام بغير غنة يعني كمال الإدغام، أي أن الحرف يختفي ذاتا وصفة، ويبدو أن هذين الأمرين أيضا هما اللذان جعلا القراء يختلفون في الواو والياء واللام؛ فضعفهن عن الراء جعل القراء يختلفون حولهن، غير أنهن متفاوتات في الضعف تبعا لما فيهن من صفات، فاللام تكاد تتساوى مع النون؛ لأن في الأولى انحرافا وفي الأخرى غنة، مع تساويهما في بقية الصفات، فالنون متساوية في القوة مع اللام؛ ولذلك إن شئت أتيت بالغنة كما ذهب إلى ذلك ابن عامر، حيث إنه ذهب إلى الإدغام مع إبقاء الغنة،(٢٨) وإن شئت أدغمته إدغاما كاملا، وهذا ما نجده عند أكثر القراء،(٢٩) ويبدو أن أكثر القراء نظروا إلى قرب المخرج وتساوي الصفات؛ فحكموا بالإدغام الكامل، وفي المقابل نجد أكثر القراء يدغمون النون في الياء والواو بغنة، ومن أصحاب حمزة من أدغم بغير غنة،(٣٠) فأكثرية القراء قرأت بالغنة؛ لأنها حكمت ثنائية القوة والضعف، فالنون أقوى من الياء والواو؛ لاشتمالها على صفة الغنة التي هي من صفات القوة، فاختفت ذات الحرف وبقيت صفته وهي الغنة .

وثنائية القوة والضعف جعلت الخليل وسيبويه لا يجيزان إدغام الراء في اللام من قوله تعالى :" فاستغفر لنا"(٣١) ؛ لأن كلا الحرفين يشترك في جميع الصفات فكلاهما فيه (همس، وتوسط، وانفتاح، واستفال، وإذلاق، وانحراف) وتقوى الراء على اللام بصفة التكرير.

وبالرغم أن ثنائية القوة والضعف قائمة على صفات القوة وصفات الضعف فإننا نجد أن هناك صفات تمنع حروفها من الإدغام في مقاربها مع جواز العكس، فصفة الصفير مثلا

منعت حروفها الإدغام في مقاربها، فالصاد والسين والزاي تدغم في بعضها، وتدغم في مقاربها، ولا يدغمن في مقاربها؛ لما يختل في إدغامها في مقاربها الصفير.(٣٢)

والإدغام يتفاضل تبعا لقرب الحروف من بعضها، فإدغام اللام في حروف الصفير أحسن من الطاء والدال والتاء، وهي بدورها أحسن من الثاء والظاء والذال.(٣٣)

وهناك مواضع يجوز فيها الإدغام والإظهار لكن الإدغام أحسن ؛ للقرب في المخرج والاتفاق في الصفات فالدال مع الجيم في قوله تعالى : " ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا " فالدال تخرج من طرف اللسان والجيم تخرج من وسطه؛(٣٤) فهما متقاربان في المخرج، والاتفاق بينهما في جميع الصفات من (جهر، وشدة، واستفال، وانفتاح، وإصمات، وقلقلة).

وقد يكون تجاور المتقاربين مسوغا للإدغام الناتج عن ثقل تجاور المتجانسين، وهذا سلوك سلكته العربية في بعض الكلمات مثل (تساقط) ، (تشقق) ، فمجاورة التاء للسين أو الشين جعلت القراء يدغمون التاء في السين أو الشين ، فالإدغام يتوقف على مقدار القرب والبعد بين الأصوات، فكلما تدانت حسن الإدغام، وهكذا.(٣٥) فلولا قرب التاء والسين أو الشين في المثالين السابقين لما أمكن الإدغام طلبا للخفة فرارا من التماثل.

وقد يتجاور متقاربان، وبالرغم من قربهما في المخرج إلا أنهما مختلفان في الصفة، فحينئذ يجتلب حرف متفق مع الحرف الأول في الصفة ومع الثاني في المخرج، فيدغم الأول في الثاني، ولقد رد أبو جعفر النحاس تحليل الفراء واستحسن مذهب الخليل وسيبويه وذلك عندما حلل كل فريق كلمة (تدخرون) من قوله تعالى :" وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ" فقال الفراء:" أصلها الذال يعني تذخرون من ذخرت فالأصل تذتخرون فثقل على اللسان الجمع بين الذال والتاء فأدغموا وكرهوا أن تذهب التاء في الذال فيذهب معنى الافتعال فجاءوا بحرف عدل بينهما وهو الدال فقالوا: تدّخرون. قال أبو جعفر: هذا القول غلط بيّن لأنهم لو أدغموا على ما قال لوجب أن يدغموا الذال في التاء وكذا باب الإدغام أن يدغم الأول في الثاني فكيف تذهب التاء والصواب في هذا مذهب الخليل وسيبويه أنّ الذال حرف مجهور يمنع النفس أن يجري والتاء حرف مهموس يجري معه النفس فأبدلوا من مخرج التاء حرفا مجهورا أشبه الذال في جهرها فصار تذدخرون ثم أدغمت الذال في الدال فصار تدّخرون: قال

الخليل وسيبويه: وإن شئت أدغمت الدال في الذال فقلت تذّخرون وليس هذا بالوجه."([٣٦])

فبالرغم أنهما أرجعا الكلمة إلى أصل واحد وهو يذتخرون إلا أنهما اختلفا في التحليل فالفراء يرى أنها مرت بإدغام ثم إبدال، أما مذهب الخليل وسيبويه فيرى أنها مرت بالإبدال ثم الإدغام، ثم إن هناك فارقا آخر في الحرف المبدل من الدال فعلى رأي الفراء هو الذال وعلى رأي الخليل وسيبويه التاء .

ومهما يكن من أمر فإن ما ينبغي أن نشير إليه هنا هو التنوع في مظاهر التخفيف في عربية القرآن، فأولا أبدلت العرب حرفا مجهورا بآخر مهموس؛ لأن هناك صعوبة في إدغام حرف مجهور في مهموس، فأبدلت العرب حرف الدال بدلا من التاء ، ثم أدغمت الذال في الدال ؛ لاجتماع مقومات الإدغام فيهما وهما القرب وقوة الثاني، فخف اللفظ، وصار يدخرون ، وليس يذخرون، وهذا الأخير ليس بالوجه؛ لأن الذال أضعف من الدال لجهرها فقط، أما الدال فبها جهر وشدة وقلقلة.

ومما ينبغي الإشارة إليه أيضا في هذا الصدد أيضا إشارة القدماء إلى الموقعية بقولهم (الجمع) من نحو (فثقل على اللسان الجمع بين الذال والتاء)، هذه الموقعية التي نفاها لديهم بعض المحدثين،([٣٧]) ولقد أشار مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) في القرن الرابع الهجري إلى الموقعية، وذلك حين احتج لتفخيم اللام في قراءة ورش حيث قال : " وعلة من فخّم هذا النوع أنه لمّا تقدم اللام حرف مفخم مطبق مستعل، أراد أن يقرّب اللام نحو لفظه، فيعمل اللسان في التفخيم عملا واحدا، وهذا هو معظم مذاهب العرب في مثل هذا، يقربون الحرف من الحرف، ليعمل اللسان عملا واحدا، ويقربون الحركة من الحركة، ليعمل اللسان عملا واحدا، وعلى هذا أتت الإمالات في عللها، وعلى هذا أبدلوا من السين صادا إذا أتى بعدها طاء أوقاف أو غين أو خاء، ليعمل اللسان في الإطباق عملا واحدا، فذلك أخف عليهم من أن يتسفل اللسان بالحرف ثم يتصعد إلى ما بعده،" ([٣٨]) فتراكيب مثل (لما تقدم اللام ، إذا أتى بعدها ، ثم يتصعد اللسان إلى ما بعده) تدل دلالة واضحة على إدراك القدماء لمصطلح الموقعية وأثره في باب الإدغام وذلك على عكس ما ذهب إليه بعض المحدثين، ولعل في ذلك رد على من زعم .

ثم انظر إلى التناغم بين الأصول العامة التي تحكم اللغة العربية من صوت ومعنى؛ حيث قال أبو علي : (وكرهوا أن تذهب التاء في الذال فيذهب معنى الافتعال؛ فجاءوا بحرف عدل بينهما، وهو الدال، فقالوا : تدخرون)، فبقوله هذا كأنك أمام أصلان كل منهما ينازع في أن يتحقق

في هذه الكلمة، فالسهولة واليسر قانون عام تصبو إليه اللغة العربية في سائر كلماتها، والحفاظ على المعنى وأمن اللبس مطلب مهم من مطالب العربية فأين السبيل في مثل هذه المواقف؟

لقد نحت العربية نحوا توفيقيا يدل على تناغم فريد بين أصولها التي تسعى لتحقيقها في كلماتها فعمدت إلى حرف عدل بينهما (بين الذال والتاء) حتى تحافظ على أصولها، وأسندت للسياق مهمة التفريق بين معاني الجذور التي أسست على غير لفظها، فبالله عليك قل لي أي لغة هذه التي يتناغم فيها الصوت مع الصرف مع التركيب مع المعجم مكونا الدلالة الحقيقة على المعنى المراد؟! لا يكون هذا إلا في لغة حباها الله من بين اللغات لتنال شرفا عظيما، وهو تلقي تنزيل رب العالمين الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين .

فالملحوظ على كلمة (يدخرون) أن بها تأسيسا على غير لفظها، فأصلها عند كلا الفريقين (يدتخرون)، فجذرها ذخر وليس دخر، ومثلها في التأسيس على غير لفظها كلمة (ست) ، فهي في الأصل سدس ، فلو أدغمت الدال في السين الأخيرة لتوالى ثلاث أمثال وهي مكونات الكلمة، فأشبهت صوتا لا معنى له، فحدث إبدال بين المتقاربين(هما السين والتاء)، ثم إدغام بين متجانسين(الدال والتاء)، يقول أبو علي الفارسي:" ألا ترى أن الدّال ألزمت الإدغام في مقاربها، وإن اختلفا في الجهر والهمس، ولما ألزمت الدال الإدغام في مقاربها، فصارت الكلمة بذلك على صورة لا يكون في كلامهم مثلها، إلّا أن يكون صوتا، أبدلت من السين التاء، وأدغمت الدال في التاء فصار ستّا."(٣٩) وفي مثل هذه الكلمات وغيرها يتبين ارتباط الصوت بالصرف والمعجم، فلابد من تضافر الصوت مع الصرف مع المعجم مع دلالة التركيب لإخراج المعنى اللغوي المراد من الجذر الثلاثي لهذه الكلمات؛ لأنها أسست على غير لفظها.

ومن التناغم الحاصل بين الأصول العامة الحاكمة للعربية أنه لا يجوز إدغام اللام في التاء من قوله تعالى :" قل تعالوا "، وذلك بحجة أن قل معتلة والعرب لا تجمع بين علتين، ولكنهم أدغموا اللام في التاء من نحو " التائبون " لكثرة لام المعرفة في كلامهم .(٤٠) فإدغام المتقاربين ليس مطردا في كل الأحوال، وإنما يقدر الموضع بحاله.

ومن التناغم بين الأصول العامة أيضا أن الإدغام إذا أدى إلى اللبس فلا يمكن لهذا الإدغام أن يتحقق؛ لأن هذا يتعارض مع أصل من الأصول العامة وهو (أمن اللبس) وإلى هذا أشار صاحب كتاب الحجة في القراءات السبع

حيث قال :" فإن قيل: لم ظهرت الواو في صنوان وحقها الإدغام؟ فقل عن ذلك جوابان: أحدهما: أنها لو أدغمت لأشبه فعلان: فعّالا. والآخر: أنّ سكون النون هاهنا وفي قوله: (بنيان) و (قنوان) عارض، لأنها قد تتحرك في الجمع والتصغير. فلمّا كان السكون فيها غير لازم كان الإدغام كذلك. "(٤١) ومعنى الجواب الأول أنه لم يدغم محافظة على معنى فعلان، فالحفاظ على المعنى هنا سبب في منع الإدغام .

ومن مظاهر التخفيف في العربية في باب الإدغام الناجم عن تجاور المتقاربين أيضا أنها لا تدغم الهمزة في مقاربها، ولا يدغم فيها مقاربها" ؛لأنها إنما أمرها في الاستثقال التغيير والحذف، وذلك لازم لها وحدها كما يلزمها التحقيق ؛ لأنها تستثقل وحدها، فإذا جاءت مع مثلها أو مع ما قرب منها أجريت عليه وحدها؛ لأن ذلك موضع استثقال كما أن هذا موضع استثقال".(٤٢)

ويبدو أن هذا الأمر لا تختص به الهمزة وحدها من بين حروف الحلق، فمن مظاهر التخفيف في العربية أيضا أنها جعلت الأصل في الإدغام لحروف الفم لا لحروف الحلق، ولقد ذكر سيبويه نحوا من هذا الكلام فقال: " الهاء مع الحاء: كقولك: اجبه حملا، البيان أحسن لاختلاف المخرجين، ولأن حروف الحلق ليست بأصل للإدغام لقلتها. والإدغام فيها عربي حسن لتقرب المخرجين، ولأنهما مهموسان رخوان، فقد اجتمع فيها قرب المخرجين والهمس".(٤٣) ولقد علل الشيرازي(٤٤) لهذا الأمر أيضا فقال:" وحروف الحلق أصلها أن لا تدغم، فإن أصل الإدغام أن يكون لحروف الفم لا لحروف الحلق؛ لأن إخراج الحرف الواحد من الحلق ثقيل، فإذا اجتمع حرفان حلقيان كان أثقل، والإدغام يشتد به اللفظ ويغلظ، فاشتداد اللفظ بالثقيل أثقل، فلهذا كان الحرف كلما أدخل في الحلق كان من الإدغام أبعد، وكلما كان أدنى إلى الفم كان مجيء الإدغام فيه أكثر، وما كان من الحروف الحلقية أدخل في الفم لم يدغم في الأدخل في الحلق، بل الأدخل في الحلق يدغم في الأدخل في الفم، ألا ترى أن الهاء يدغم في الحاء نحو : إجبه حملا، ولا يدغم الحاء في الهاء نحو : امدح هلالا؛ لأن الهاء أدخل في الحلق، والحاء أقرب من الفم "(٤٥).

إن الملاحظ على الإدغام وهو مظهر من مظاهر التخفيف لجأت إليه العربية للتخلص من الثقل الناجم عن مجاورة المتقاربين أن العربية دائما تبحث عن الخفة والسهولة، فإن أدى مجاورة المتقاربين إلى ثقل لجأت العربية إلى تخفيف ذلك بالإدغام، كل ذلك يتم خلال آلية فريدة تحافظ فيها العربية على أصولها، كعدم

الجمع بين علتين، والحفاظ على المعنى وأمن اللبس، لكن هذا التخلص بالإدغام لتجاور المتقاربين ليس مطردا في جميع المواضع ؛ بل إن هناك مواضع يكون فيها الإظهار أحسن كما هو الحال في حروف الحلق إذا ما جاورت بعضها.

المبحث الثاني: الحذف مظهر من مظاهر التخفيف.

إن أدى الإدغام إلى ثقل أشد من الثقل الناتج عن تجاور المتقاربين عدل إلى الحذف، وهو وسيلة من وسائل العربية لجأت إليها عند حدوث ثقل وعندما لا ينفع أي مظهر آخر من مظاهر التخفيف، يقول أبو علي :" وحذفوا من الكلمة التاء المزيدة مع السين فقالوا: استطاع يسطيع، وفي التنزيل: فما استطاعوا أن يظهروه وهو قراءة الجمهور، لما اجتمعت المتقاربة أحبّوا التخفيف بالإدغام كما أحبّوا ذلك في الأمثال، فلمّا لم يسغ التخفيف بالإدغام لتحريك ما لم يتحرك في موضع عدل عنه إلى الحذف."(٤٦)

وكما حذفوا التاء التي وقعت مع السين في (استطاع) حذفوا أيضا التاء التي وقعت مع السين في تتساقط ، فلقد قرأ الأعمش وحمزة (تساقط) في قوله تعالى :" وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا" بالتاء وتخفيف السين، (٤٧) وروى هذه القراءة حفص عن عاصم،(٤٨)

ولقد عد أبو علي الفارسي الحذف مظهرا من مظاهر التخفيف التي نجمت عن تجاور المتقاربين عندما تعرض بحججه للآية الثانية من سورة البقرة حيث قال : " وأمّا ترك إتباع الهاء الياء في: (فيه هدى)، وما أشبهه في الوصل فلكراهة اجتماع حروف فيه متقاربة، وقد كرهوا من اجتماع المتقاربة ما كرهوا من اجتماع الأمثال، ألا ترى أنّهم يدغمون المتقاربة كما يدغمون الأمثال فالقبيلان من الأمثال والمتقاربة إذا اجتمعت خفّفت تارة بالإدغام، وتارة بالقلب، وتارة بالحذف. ..... وجهة التشابه في هذه الحروف أن الهاء من الحلق، والألف منه أيضا، والياء قريبة من الألف وموافقة لها في اللين، فمن ثمّ أبدلت من الياء في هذي فقالوا: هذه، فلمّا اجتمعت هذه الحروف المتقاربة خففوا بالحذف كما خفّف غيرها، ..... وممّا يحسّن الحذف هاهنا- مع ما ذكرنا من اجتماع المتشابهة- أن الهاء حرف خفيّ، فإذا اكتنفها ساكنان من حروف اللين كان كأن الساكنين قد التقيا، لخفاء الهاء وأنّهم لم يعتدّوا بها للخفاء في مواضع."(٤٩)

فالملحوظ على نص أبي علي السابق تحديده للمشكلة وهي الثقل الناتج عن مجاورة

الهاء والياء، وبحث أسباب المشكلة وهي التقارب، وقدم أوجها لهذا التقارب، ثم طرح الحل وقدم طرقا للتخفيف، وهي الإدغام والقلب والحذف، ورأى أن الحذف أو ترك إتباع الهاء الياء هو الحل في هذا الشاهد، وبين أسباب هذا الحذف .

والملحوظ أيضا أن التقارب وموقعية الهاء أثرا في إحداث هذه المشكلة ، وهي الثقل، ورأى أن وجه التقارب ناتج من التقارب في صفة اللين، ورأى أيضا أن موقعية الهاء – وهي وقوعها بين ساكنين من حروف اللين – أثرت في إحداث هذا التغير الصوتي وهو الحذف، وفي هذا رد على من أنكر على القدماء معرفتهم بالموقعية بين الحروف(*).

والحذف مظهر من مظاهر التخفيف التي سلكتها العربية إذا حل مكان فاء الفعل حرف متقارب مع التاء في أفعال المطاوعة، مثل تتفاعلون، وتتفعل، فالعربية جاءت بتاء للدلالة على معنى المطاوعة في الفعل، فإذا كانت فاء الفعل حرفا متقاربا مع التاء في المخرج أو الصفة اجتمع حينئذ ثلاث حروف، الأول والثاني منهما متماثل، والثاني والثالث متقارب، والعربية تكره اجتماع الأمثال والمقاربة، فسلكت العربية مسالك للتخلص من هذا الثقل الناتج عن المجاورة، من هذه المسالك الحذف.

ففي قوله تعالى : {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: ٤٢] تنوعت مسالك العربية في لفظ الفعل (تسوى)، فاختلف القراء؛ " فقرأ ابن كثير وعاصم، وأبو عمرو : لو تسوى مضمومة التاء خفيفة السين. وقرأ نافع وابن عامر: تسوى مفتوحة التاء مشدّدة السين. وقرأ حمزة والكسائي: لو تسوى مفتوحة التاء خفيفة ."(٥٠) فهكذا وجدنا ثلاث قراءات لهذا الفعل ، وهي (تُسَوَّى ، تَسَوَّى ، تَسَوَّى)، وأصل هذا الفعل في مظاهره الثلاثة واحد وهو الفعل (تتسوى)، اجتمع فيه حرفان متماثلان وحرفان متقاربان فكرهت العربية ذلك وهو توالي الأمثال والمتقاربة، فاستعمل القراء الحذف في قراءتين لكن باختلاف في صيغة الفعل، واستعمل فريق القراءة الثالثة الإدغام، ويبدو أن هذا إشارة إلى أن الحذف أولى من الإدغام في مثل هذه المواضع(٥١) .

والملحوظ على مسلك الحذف الذي سلكته العربية في التخلص من هذا الثقل التناغم بين الأصول الحاكمة للكلام في العربية، فهناك أصل عام يحكي وظيفة الألفاظ، وأنها إنما جاءت لتعبر عن المعاني المختلجة في الصدور، هذا الأصل هو الحفاظ على المعنى، وأرادت العربية أن تتخلص بالحذف من التقاء إحدى التاءين

فطرحت الثانية وأبقت على الأولى حفاظا علـــى معنى المطاوعة، وهذا ما دعا سيبويه إلى القول بأن " الثانية أولى بالحذف،"([٥٢]) ففي هذا المثال وغيره من الشواهد التي جاءت فيه فـــاء الفعـــل حرفا من الحروف القريبة من التاء وأريد بهـــذا الفعل معنى المطاوعة، يتنـــازع أصـــلان همـــا الجنوح إلى التخفيف حيث التخلص مـــن الثقـــل الناتج عن تجاور المتقـــاربين والحفـــاظ علـــى المعنى المتمثل في معنى المطاوعة، فحذفت التاء الثانية تخفيفا وحفاظا على المعنى.

وكما حذفت التاء عند مجاورتها الســـين حذفت أيضا عند مجاورتها الشـــين فـــي نحـــو (تتشقق) من قوله تعالى :" {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّـــمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًـــا (٢٥)} [الفرقـــان: ٢٥]، وذلك في قراءة جمهور القراء ما عدا ابن كثير ونافع وابن عامر، فـــإن هـــؤلاء الثلاثـــة قرءوها بالإدغام، ووجه التقارب أن الشين والتاء كلاهما يخرج من اللسان، فهناك تقـــارب فـــي المخرج.

والملحوظ على مســـلك الحـــذف الـــذي سلكته العربية للتخلص من الثقل النـــاجم عـــن تجاور المتقاربين أن هناك معيارين مهمين أثرا في سلوكها هذا المسلك، أولهمـــا القـــرب مـــن المخرج، وآخرهما الموقعية، والموقعيـــة هنـــا متمثلة في أن الحرف المحذوف اكتنفه حرفـــان، أحدهما متقارب والآخر إما أن يكون متماثلا كما هو الحال في (تتسوى، وتتشقق، تتظـــاهر)، أو متجانسا كما هو الحال في (استطاعوا) .

المبحـــث الثالث :الإبـــدال مظهـــر مـــن مظـــاهر التخفيف.

إن أول ما ينبغي الإشارة إليه في بـــاب الإبدال كمظهر من مظاهر التخفيف هو معنـــى الافتعال، والسبب في ذلك أن التاء التي جـــاءت لمعنى الافتعال تتعاورها حالتان، إما أن تؤثر في فاء الفعل، وإما أن تتأثر هي بفاء الفعل، كما أنها في كل تجاور تختلف من حرف إلى آخر تبعـــا للقرب في المخرج والمنافاة في الصفات.

نتكلم أولا عن حالة التأثير ، ففاء الفعل إذا جاءت حرف لين كالواو مثلا، حدث عســـر في النطق؛ لأنهما قريبتين في المخرج متباعدتين في الصفة؛ فالتاء من أصول الثنايا والواو مـــن الشفة هذا عن القرب في المخرج ، أما المنافـــاة في الصفة فبسبب أن التاء حرف مهموس والواو حرف مجهور، وإنما أبدلوا الفاء في ذلك تـــاء ؛ لأنهم لو أقروها لتلاعبت بها حركات ما قبلهـــا؛ فكانت تكون بعد الكسرة ياء، وبعد الفتحة ألفـــا، وبعد الضمة واوا؛ فلمـــا رأوا مصـــيرها إلـــى تغيرها لتغير أحوال ما قبلها أبدلوا منها حرفـــا يلزم وجها واحدا وهو التاء، وهو أقرب الزوائد من الفم إلى الواو، وليوافق مـــا بعـــده فيـــدغم

فيه،([٥٣]) وأما إذا كان حرف اللين ياء فمحمول على الافتعال الذي فاؤه واو،([٥٤]) وقريب من حكم فاء الافتعال إذا وقعت حرف لين حرف الثاء إذا جاء في موضع فاء الافتعال، فما نلاحظه هنا أنه يستوي الأمران قلب التاء ثاء أو العكس، ولقد عرض ابن مالك المشكلة والحل فقال :" الثاء حرف رخو، والتاء حرف شديد، وهما مشتركان في الهمس، ومخرجاهما متقاربان، فإن اجتمعا في الافتعال وفروعه، وتقدَّمت الثاء ثقل تلاقيهما؛ لأنَّهما مثلان من وجه، وضدان من وجه، فخففا بجعل الثاء تاءً أو التاء ثاءً، وإدغام أحدهما في الآخر كـ "الاثِّرَادِ والاتِّرَادِ" وهو اتخاذ الثريد، وأصله: اثْتِرَاد، فمن قال: "اثِّرَاد" غَلَّب جانب الثاء؛ لأصالتها وتقدمها، ومَنْ قال: "إتِّرَاد" غَلَّب جانب التاء؛ لشدَّتها ولكونها مزيدة لمعنى،" ([٥٥]). وما نلاحظه على كلام ابن مالك السابق أنه حدد بعضا من المعايير أو الشروط الحاكمة للنظام الصوتي عند العربية، وهي (الأصالة، والموقعية، وثنائية القوة والضعف، والحفاظ على المعنى)، وساقها على أنها حجة لكل فريق، لكن المهم في النهاية هو الجنوح إلى الإبدال كمظهر من مظاهر التخفيف.

أما الحالة الثانية وهي التأثر، فنفرق فيها بين حروف الإطباق والجهر والشدة القريبة من التاء، فتاء الافتعال تبدل طاء إذا جاءت حرفا من حروف الإطباق القريبة من التاء، وقولُنَا القريبة من التاء يخرج الطاء لأن التاء تجانس الطاء.([٥٦]) وتبدل تاء الافتعال دالا إذا جاءت التاء حرفا من حروف الجهر القريبة من التاء، ويستوي الأمران – إبدال التاء أو فاء الافتعال – إذا وقعت فاء الافتعال ثاء وهو حرف من حروف الشدة قريب من التاء.

والملحوظ في باب الإبدال أن هناك معيارين أسهما في جنوح العربية إلى مثل هذا التغير، وهما القرب في المخرج والتباعد في الصفات، فالتاء قريبة من الزاي والصاد، وبينهما تباعد في الصفات، فالتاء من حروف الهمس والانفتاح، فتختلف عن الزاي في الهمس، وتختلف عن الصاد في الانفتاح، فجيء بحرفين يكونان قريبين لمخرج الزاي والصاد، متجانسين مع التاء، قريبين في الصفات مع الحروف التي جاورت التاء، فجيء بالدال ليشاكل الزاي، وجيء بالطاء ليشاكل الصاد، ومن ثم تم التخلص من هذا الثقل بالإبدال ومشاكلة الحروف.

وقريب من الإبدال مصطلح الإقلاب، وهو مظهر من مظاهر التخفيف جنحت إليه العربية عند التقاء النون مع الباء، فقلبت النون ميما مخفاة بغنة.

ومما هو جدير بالذكر أن بعض المحدثين أدرج الإقلاب تحت الإخفاء بزعم أن

النون مخفاة هنا أيضا حيث قال : " ومـن ثـم فنحن إذا نظرنا إلى الموضـوع* مـن الناحيـة الصوتية المحضة نقول : إن أحكام النون الساكنة ثلاثة، وإذا نظرنا إلى الموضوع مـن الناحيـة التعليمية جعلناها أربعة بإضافة حكم القلـب أو الإقلاب؛ لأنه من غير اليسير علـى المبتـدئين تصور أن يكون حكم النون الساكنة قبـل البـاء إخفاء وهم يـرون صـيرورتها فـي النطـق ميما."([٥٧])

والمتأمل في هذا التحليل يجـد أن بـه بعض القصور؛ لأن الفرق بين النون في (مـن قال) و (من بعد) أن النون الأولى مخفاة إخفـاء حقيقيا، والثانية مقلوبة إلى الميم؛ فالإخفاء فـي المثال الأول كان في النون، وفي المثال الثـاني كان في الميم ؛ فإدراج الإقلاب تحت الإخفاء لا يتماشى مع الناحيـة الصـوتية ولا التعليميـة ؛ فالعبرة في تقسيم أحكام النون مرجعه إلـى مـا صارت إليه النون من إظهار وإدغـام وإقـلاب وإخفاء، لا إلى ما صارت إليه الميم .

المبحـث الرابع :الإخفـاء مظهـر مـن مظـاهر التخفيف.

عند تجاور النون الساكنة مـع بعـض الحروف يحدث إخفاء، وبين علمـاء التجويـد الإخفاء بأن حالة وسطى بين الإظهار والإدغام ، فيقول أبو عمرو الداني :" والإخفاء حـال بـين الإظهار والإدغام، وذلك أن النون والتنوين لـم يقربا من هذه الحروف كقربهما من حروف «لم يرو»، فيجب إدغامهما فيهن من أجـل القـرب للمزاحمة، ولم يبعد أيضا منهنّ كبعـدهما مـن حرف الحلق، فيجب إظهارهما عندهن من أجل البعد للتراخي، فلما عدم القرب الموجب للإدغام والبعد الموجب للإظهار أخفيا عندهنّ، فصارا لا مدغمين ولا مظهرين إلا أن إخفاءهما على قدر قربهما منهنّ وبعدهما عنهن، فما قربا منه كانـا عنده أخفى مما بعدا عنه، والفرق عنـد القـرّاء والنحويين بين المخفـي والمـدغم أن المخفـي مخفّف، والمدغم مشدد".([٥٨])

ومكمن الثقل في مجاورة النون الساكنة أو التنوين لحروف الإخفاء القرب النسبي لهـذه الحروف ، فهي تخرج من الفم ويعمل اللسـان فيها، كما أن النون الساكنة يعمل فيهـا اللسـان والخيشوم، فثقل على اللسان أن يعمل في النون مع الخيشوم ثم يعمل في هذه الحروف، فاستعمل الخيشوم فقط في النون ثم يستعمل اللسان عنـد مخرج هذه الحروف.

ولذلك نجد علمـاء العربيـة والتجويـد يؤكدون أن إخفاء النون لا عمل للسان فيه أبدا، فهاهو سيبويه يقرر هـذه الحقيقـة، فيقـول : " وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفيـاً مخرجه من الخياشيم؛ وذلك أنها مـن حـروف

الفم، وأصل الإدغام لحروف الفم، لأنها أكثر الحروف، فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرجٌ من غير الفم كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم، لأنه ليس حرفٌ يخرج من ذلك الموضع غيرها، فاختاروا الخفة إذ لم يكن لبسٌ، وكان أصل الإدغام وكثرة الحروف للفم. وذلك قولك: من كان، ومن قال، ومن جاء".([٥٩]) فبقوله مخرجه الخياشيم يرى أن اللسان أو الفم لا عمل له فيه، وتبعه ابن الجزري مؤكدا هذا المعنى بقوله : " أن مخرج النون والتنوين مع حروف الإخفاء الخمسة عشر من الخيشوم فقط ولا حظ لهما معهن في الفم لأنه لا عمل للسان فيهما كعمله فيهما مع ما يظهران عنده، أو ما يدغمان فيه بغنة وحكمهما مع الغين والخاء عند أبي جعفر كذلك، وذلك من حيث أجرى الغين والخاء مجرى حروف الفم للتقارب الذي بينهما وبينهن، فصار مخرج النون والتنوين معهما كمخرجهما معهن، ومخرجهما على مذهب الباقين المظهرين من أصل مخرجهما، وذلك من حيث أجروا العين والخاء مجرى باقي حروف الحلق لكونهما من جملتهن دون حروف الفم."([٦٠])

ومما تجدر الإشارة إليه في كلام سيبويه السابق أمران مهمان، الأمر الأول: مخرج النون المخفاة، حيث قال : وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم، فلقد جعل سيبويه للنون المخفاة مخرجا مستقلا وهو الخياشيم، وذكر في موضع آخر الحروف الفرعية المستحسنة في قراءة القرآن، وعد النون المخفاة أول هذه الحروف،([٦١]) ويبدو أن سيبويه كان مصيبا فيما ذهب إليه من إفراد النون المخفاة بمخرج مستقل غير مخرج النون المظهرة، وليس كما ذهب بعض المحدثين إلى أنه لا ضرورة لإفراد النون الخفية بمخرج مستقل، كما أن كل الحروف الفرعية الأخرى لم تفرد بمخارج مستقلة([٦٢]) ؛ لأن إفرادها بمخرج مستقل وهو الخيشوم يساعد القراء والمتعلمين على تحقيق حالة الإخفاء عند مجاورة حروف الإخفاء .

والأمر الثاني مما تجدر الإشارة إليه في كلام سيبويه السابق التناغم بين الأصول الحاكمة للكلام العربي، حيث قال:" فاختاروا الخفة إذ لم يكن لبسٌ"، فالتخفيف أصل من أصول العربية، وأمن اللبس والحفاظ على المعنى أصل أيضا ، فإن جاء التخفيف مع أمن اللبس فبه ونعمت .

فمظاهر التخفيف تمثلت في تخصيص مخرج مستقل لهذه النون عند ملاقاتها حرف من حروف الإخفاء، وهذا المخرج جنحت إليه العربية ؛ لتتخلص من الثقل الناجم عن تجاور

المتقاربين؛ فثقل على اللسان اعتراض الهـواء لتحقيق حرف النون ليخرج الهواء من الخيشوم ثم يرجع لينطق بالحرف المتقارب الملتقي معـه من حروف الإخفاء؛ فهذا فيه مشقة على اللسان، فتخلصت العربية من ذلك بخروج الهـواء مـن الخيشوم دون اعتراض اللسان له، ليظل اللسان قابعا في مكانه، مستريحا؛ ليعاود النطق بالحرف المجاور للنون فيخرج الحرفان بسهولة ويسـر دون عناء ومشقة .

وعند ملاقاة النـون لأحـرف الإخفـاء تتفاوت درجة الإخفاء تبعا لقرب هذه الحـروف من النون، فكلما قربت النون من هذه الحـروف كلما كانت معالجة هـذا الإخفـاء أقـرب إلـى الإدغام، وكلما بعدت النون من هـذه الحـروف كلما كانت معالجة هـذا الإخفـاء أقـرب إلـى الإظهار، وبذلك تنوعت مراتب الإخفاء في هذه الحروف .

ويبدو – فيما أظن – أن اختلاف مراتب الإخفاء مرجعه إلى عمل اللسان، بالرغم مما هو متعارف بين علماء العربية والتجويد أنه لا عمل للسان في الإخفاء، لكننا بالملاحظة نرى أنه عند ملاقاة النون مع الكاف أو القاف يكون اللسان في حالة انعدام للعمل أشد من التي ترى عند ملاقاة النون مع التاء والدال والطـاء، فاللسـان عنـد النطق بالثلاثة الأخيرة يحاول الارتفاع باختلاف بين الثلاثة في جهة الارتفاع، فتحس بأن له قليل عمل، هذه القلة جعلت مرتبة الإخفاء عند الطاء والتاء والدال أعلى من بقية الحروف .

لقد فرقت العربية بين المتقـاربين مـن حيث درجة التقارب، فأعطت التاء والدال والطاء أعلى مرتبة في الإخفاء؛ لشدة قربها من النـون الساكنة، وأعطت القاف والكاف أدنى مرتبة في الإخفاء؛ لبعد قربها مقارنة بالثلاثة أحرف سالفة الذكر، فهذا المظهر يحكي عبقرية العربية فـي دقتها، فتحس أنك أمام عقد رتبت أجزاؤه علـى نسق دقيق .

ليس هذا فحسب، بل إن تفخيم الغنة عند ملاقاة حرف مستعل من حروف الإخفاء مظهر من مظاهر التخفيف جنحت إليه العربية، ولكـن لقائل أن يقول : إن مما هو معلوم أن النون من الحروف المرققة قولا واحدا، فلماذا تفخم الغنـة على عكس الأصل في حرف النون؟

إن تخصيص سيبويه – في كلامه السابق – للنون المخفاة مخرجا مستقلا عنـد ملاقاتهـا حرف من حروف الإخفاء هو الجواب على مثل هذا التساؤل؛ لأن معتمد اللسان في الفم مع النون المخفاة ينتقل إلى مخرج الحرف الـذي تخفـى عنده النون، ومن ثم يتبين لنا أن الغنـة تابعـة (ترقيقا وتفخيما) للحرف المخفى عنده النون .

الخاتمـــة :

هذه الدراسة تهتم بالحروف في حال التركيب وليس في حال الإفراد؛ لأنها تختص بالتغيرات الصوتية الناجمة عن تجاور المتقاربين، وتبحث في تعدد التغيرات الصوتية، فنوع التغيرات متوقف على جملة من المعايير المرتبطة بالحروف في حال التركيب .

إن ما نلاحظه أن التقارب في المخرج – مع مراعاة معايير أخرى كثنائية القوة والضعف والموقعية – يعد معيارا من معايير اللجوء إلى إحداث تغيرات في بنية الكلمة .

كشفت الدراسة عن التناغم بين الأصول الحاكمة للكلام العربي، من هذه الأصول عدم الجمع بين علتين، السهولة والتخفيف، الحفاظ على المعنى، وأمن اللبس، الأصالة والفرعية .

أكدت الدراسة على الارتباط الوثيق بين علوم اللغة العربية المختلفة (الصوت، والتجويد، والصرف، والمعجم ، والدلالة) .

كما أكدت على أن علماء العربية والتجويد كانوا أقدر من غيرهم في النتائج التي توصلوا إليها في حقل الدراسات الصوتية، مما يشير إلى ضرورة التنقيب والاستفادة من مجهوداتهم العظيمة في هذا المجال، بل إن هناك من المظاهر الصوتية التي عنوا بدراستها عناية فائقة إلى الحد الذي جعل إسهام المحدثين من علماء الأصوات في هذه المظاهر يكاد يكون منعدما، كما هو الحال في باب الإخفاء ، فاكتفى علماء الأصوات المحدثين في كشف كنه الإخفاء على ما قاله علماء العربية والتجويد، ولم يأتوا بجديد فوق ما قالوه برغم من قلة الوسائل الصوتية التي أتيحت لهم .

حاولت الدراسة التوصل إلى سبب ينتظم هذا التعدد في مظاهر التخفيف التي جنحت إليها العربية؛ للتخلص من الثقل، فتتبعت كل مظهر على حدة؛ للوصول إلى الدافع الرئيس وراء إحداث هذا التغير، فوجدت جملة من المعايير، منها ما يتكرر في كل مظهر، فيعد قاسما مشتركا بين جميع المظاهر، ومنها ما يتخلف عن مظهر دون سواه، لكن القاسم المشترك بين هذه المظاهر (التغيرات الصوتية) هو التقارب في المخرج.

وما ينبغي التنبيه عليه أن المعايير الأخرى – مثل ثنائية القوة والضعف، والموقعية، والتباعد في الصفات – لا تقل أهمية في إحداث هذا التغير.

فمما أشارت إليه الدراسة أن القرب في المخرج عامل أصيل في باب الإخفاء، فالطاء أقوى الحروف تتساوى مع التاء في باب إخفاء النون، لكنها تتفاوت تبعا للقرب أو البعد، فالقاف ليست كالتاء بالرغم من قوة القاف مقارنة بالتاء،

لكن لبعد القاف أخذت مرتبة أدنى من مرتبة التاء، والإخفاء في هذا الأمر يختلف عن الإدغام؛ لأن الإدغام يتوقف على عوامل متعددة يتشارك فيها القرب في المخرج مع ثنائية القوة والضعف مع الموقعية لتحقيق الإدغام.

ومما أكدت عليه أن القرب في المخرج والموقعية – وشرطها أن يكتنف الحرف حرفان أحدهما متماثل (كالتاء الأولى في تتشقق) أو متجانس (كالطاء في استطاعوا) والآخر متقارب – سبب في اللجوء إلى الحذف كمظهر من مظاهر العربية .

وأما فيما يتصل بالإبدال فأظهرت الدراسة دور صفات الحروف في باب الافتعال، فالقرب من المخرج والتباعد في الصفات كانا المعيارين اللذين سببا جنوح العربية إلى الإبدال.

وأكدت الدراسة على وجهة نظر علماء التجويد في ضرورة الفصل بين الإقلاب والإخفاء في باب النون الساكنة والتنوين؛ لأن هذا يتماشى مع الناحية الصوتية المحضة، وليس كما ذهب بعض المحدثين.

في نهاية حديثي أقول : إن هذا الطرح جملة من جمل البشر، قد تصيب، وقد يعتريها النقصان، فإن أصبت فلله المنة والفضل أولا وآخرا، وإن كان غير ذلك فالله أسأل أن يغفر لنا زللنا وتقصيرنا، كما أسأله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يثيبنا عليه ، فهو نعم المولى ونعم النصير.

ثالثا : المصادر والمراجع .

- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء، تأليف الدكتور عبدالصبور شاهين، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧ م ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة .
- الإدغام الكبير، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، المحقق: د . عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ –٢٠٠٣ م .
- إعراب القراءات السبع وعللها، تأليف : أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمذاني النحوي الشافعي، المتوفى ٣٧٠هـ حققه وقدم له د. عبدالرحمن سليمان العثيمين، الناشر : الخانجي ، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢ م
- إعراب القرآن، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.
- الأعلام ،المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم

للملايين ،الطبعة: الخامسة عشر – أيار/مايو ٢٠٠٢ م.

- إيجاز التعريف في علم التصريف، المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، المحقق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م .
- التطور النحوي للغة العربية (برجشتراسر)، جمع مادته وترجمها : د.رمضان عبدالتواب.
- التيسير في القراءات السبع، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: اوتو تريزل ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- جامع البيان في القراءات السبع، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، الناشر: جامعة الشارقة – الإمارات، (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .
- الحجة للقراء السبعة، تأليف : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبي علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقّاق، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق/بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م .
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د غانم قدوري، بغداد ، ١٩٨٤ .
- السبعة في القراءات، المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المؤلف: علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشْمُوني الشافعي (المتوفى: ٩٠٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تأليف:الأزهري، خالد بن عبد الله، الناشر:دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.
- شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفي عام ١٠٩٣ من الهجرة، المؤلف: محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (المتوفى: ٦٨٦هـ)، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة:محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف

ومحمد محيى الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

- عربية القرآن، تأليف : أ.د/ عبد الصبور شاهين، الناشر : مكتبة الشباب، المنيرة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧م .
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، المؤلف: محمود السعران، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: طبعة ٢ – القاهرة ١٩٩٧م .
- القول السديد في الدفاع عن قراءات القرآن المجيد، أ.د/ محمد سالم محيسن، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢ م دار محيسن للطباعة والنشر، مدينة نصر – القاهرة .
- الكتاب، تأليف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبي بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمؤلفه أبي محمد بن أبي طالب القيسي(٣٥٥ – ٤٣٧ هـ) تحقيق الدكتور/ محي الدين رمضان، ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
- معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها، تأليف الإمام نصر بن علي بن محمد، أبي عبدالله ، الشيرازي، الفارسي، الفسوي، النحوي، المعروف بابن أبي مريم، المتوفى بعد : ٥٦٥ هـ، تحقيق ودراسة : عمر حمدان الكبيسي ١٤٠٨ هـ جامعة أم القرى.
- النشر في القراءات العشر، المؤلف : شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، المحقق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية] .
- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، المؤلف : عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي (المتوفى : ١٤٠٩هـ)، الناشر : مكتبة طيبة، المدينة المنورة ، الطبعة : الثانية .

دوريات

- التحديات التي تواجه اللغة العربية ودور القرآن الكريم في التصدي لها، بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" ، المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، في الفترة: ٢-٢٠٠٧/٤/٣م، إعداد: د. رياض محمود قاسم، أستاذ مساعد في قسم العقيدة – كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية ... أ. عبدالحميد الفراني، ماجستير تاريخ – كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، أبريل/ ٢٠٠٧ .

رابعا : الهوامش .

١. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د غانم قدوري بغداد ، ١٩٨٤ ، (ص: ٣٣٨).

٢. الكتاب، تأليف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبي بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، (٤/ ٤٤٦) .

٣. الحجة للقراء السبعة، تأليف : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبي علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م (٤/ ٤٤٦) .

٤. انظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: ٣٣٨).

٥. القول السديد في الدفاع عن قراءات القرآن المجيد، أ.د/ محمد سالم محيسن، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢ م دار محيسن للطباعة والنشر، مدينة نصر - القاهرة، ص ٨ .

٦. إعراب القراءات السبع وعللها، تأليف : أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالوية الهمذاني النحوي الشافعي، المتوفى ٣٧٠هـ حققه وقدم له د. عبدالرحمن سليمان العثيمين، الناشر : الخانجي ، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢ م (١٠٦/١) .

٧. عربية القرآن، تأليف : أ.د/ عبد الصبور شاهين، الناشر : مكتبة الشباب، المنيرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م ، ص ٣٢.

٨. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: ٧٧) .

٩. التحديات التي تواجه اللغة العربية ودور القرآن الكريم في التصدي لها، بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة"، المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، في الفترة: ٢-٣/٤/٢٠٠٧م، إعداد: د. رياض محمود قاسم، أستاذ مساعد في قسم العقيدة - كلية أصول الدين - الجامعة الإسلامية ... أ. عبدالحميد الفراني، ماجستير تاريخ - كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، أبريل/ ٢٠٠٧ (ص ١٢) .

١٠. كتاب السبعة في القراءات، المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار

المعارف – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ، (ص: ٤٥) .

١١. التيسير في القراءات السبع، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: اوتو تريزل ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م (ص: ٢) .

١٢. إعراب القرآن، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ (٣/ ٩) .

١٣. الحجة للقراء السبعة (٥/ ٣٤١) .

١٤. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، المؤلف: محمود السعران، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: طبعة ٢ – القاهرة ١٩٩٧م ، (ص: ٨١) .

١٥. معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى٢/ ٣٥٤.

١٦. الإدغام الكبير، للإمام ابي عمرو عثمان بن سعيد الداني، المحقق : د . عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ –٢٠٠٣ م ص ٩٣ .

١٧. التطور النحوي للغة العربية (برجشتراسر)، جمع مادته وترجمها : د رمضان عبدالتواب ص ٢٩ .

١٨. التطور النحوي للغة العربية (برجشتراسر) ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

١٩. الإدغام الكبير، تأليف أبي عمرو الداني، ص ٩٦، ٩٧ .

٢٠. انظر إلى كلام المرصفي في كتابه هداية القاري حيث قال : " التفشي ومن معانيه في اللغة الانتشار وفي الاصطلاح انتشار الريح في الفم عند النطق بالحرف. وله حرف واحد على الصحيح وهو الشين،" هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، المؤلف : عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي (المتوفى : ١٤٠٩هـ)، الناشر : مكتبة طيبة، المدينة المنورة ، الطبعة : الثانية، ص(٨٩/١) .

٢١. إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٩١) .

٢٢. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: ٢٨٠) .

٢٣. أبو علي الفارسي، (٢٨٨ - ٣٧٧ هـ = ٩٠٠ - ٩٨٧ م)، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي: أحد الأئمة في علم العربية. الأعلام ،المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين ،الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م (٢/ ١٧٩) .

٢٤. مكي بن حموش، (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ = ٩٦٦ - ١٠٤٥ م)، مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد: مقرئ، عالم بالتفسير والعربية. الأعلام للزركلي (٧/ ٢٨٦) .

٢٥. الحجة للقراء السبعة (٣/ ١٧٣)، وهنا تجدر الإشارة إلى أن أبا علي الفارسي وسع دائرة المتقارب، حتى إنه أدرج المتجانس وهو التاء والطاء في حيز المتقارب.

٢٦. السابق، (٦/ ٩) .

٢٧. الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٤٨) .

٢٨. السبعة في القراءات، المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ (ص: ١٢٦) .

٢٩. السابق، نفسه.

٣٠. السابق، (ص: ١٢٦، ١٢٧) .

٣١. إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٩) .

٣٢. الحجة للقراء السبعة (١٦٣/٥) .

٣٣. السابق، (٢٠٣/٥) .

٣٤. إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٧١) .

٣٥. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (٣٣٨/١) .

٣٦. إعراب القرآن للنحاس (١/ ١٥٩) .

٣٧. وهو أستاذنا الدكتور عبدالصبور شاهين ، حين قال : " ولكن الفرق بين الفريقين ينحصر في أن المحدثين قالوا بالموقعية في المماثلة، وجعلوها أول صفات القوة، في حين لم يتعرض القدماء لهذه الصفة " ويقصد بالصفة الموقعية . أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء، تأليف الدكتور عبدالصبور شاهين، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ص٢٣٦ .

٣٨. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمؤلفه أبي محمد بن أبي طالب القيسي(٣٥٥ - ٤٣٧ هـ) تحقيق الدكتور/ محي الدين رمضان، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (٢١٩/١).

٣٩. الحجة للقراء السبعة (٢/ ٣٦٨).

٤٠. إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٢٢) .
٤١. الحجة في القراءات السبع (ص: ٢٠٠).
٤٢. الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٤٩) .
٤٣. السابق، نفسه.
٤٤. نصر بن علي بن محمد الشيرازي الفارسي الفسوي، أبو عبد الله، ابن أبي مريم: خطيب شيراز وعالمها وأديبها في عصره. قال ياقوت: قرئ عليه سنة ٥٦٥ وتوفي بعدها، الأعلام للزركلي (٨/ ٢٦)، وهو صاحب كتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها .
٤٥. الموضح في وجوه القراءات وعللها، تأليف الإمام نصر بن علي بن محمد، أبي عبدالله ، الشيرازي، الفارسي، الفسوي، النحوي، المعروف بابن أبي مريم، المتوفى بعد : ٥٦٥ هـ، تحقيق ودراسة : عمر حمدان الكبيسي ١٤٠٨ هـ جامعة أم القرى، ص ٢٠١ .
٤٦. الحجة للقراء السبعة (٥/ ١٧٩) .
٤٧. إعراب القرآن للنحاس، (٣/ ٩) .
٤٨. الحجة للقراء السبعة (٥/ ١٩٨).
٤٩. السابق، (١/ ٢٠٨) .
* سبق أن عرضنا ذلك في مبحث الإدغام ص ١٩ .
٥٠. السابق، (٣/ ١٦١) .
٥١. وإلى ذلك ذهب أبو الحسن فقال الخفيفة أكثر في الكلام نحو : تذكر أمة الله؛ لأنهم أرادوا الخفة، فكان الحذف أخف عليهم من الإدغام.انظر: الحجة للقراء السبعة، (٣/ ١٦١).
٥٢. الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٧٦) .
٥٣. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المؤلف: علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشْمُوني الشافعي (المتوفى: ٩٠٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، (٤/ ١٣٣).
٥٤. إيجاز التعريف في علم التصريف، المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، المحقق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م ١٨٠/١ .
٥٥. السابق، (ص: ١٨١) .
٥٦. انظر : شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تأليف:الأزهري، خالد بن عبد الله، الناشر:دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ٧٣٦/٢ ، وشرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفي عام

١٠٩٣ من الهجرة، المؤلف: محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (المتوفى: ٦٨٦هـ)، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة:محمد نور الحسن – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية،محمد الزفزاف – المدرس في كلية اللغة العربية،محمد محيى الدين عبد الحميد – المدرس في تخصص كلية اللغة العربية، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، عام النشر: ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م ج٣ ص٨٠ .

* يقصد بالموضوع تقسييم أحكام النون الساكنة والتنوين .

٥٧. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: ٣٨٧) .

٥٨. جامع البيان في القراءات السبع، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، الناشر: جامعة الشارقة – الإمارات، (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م (٢/ ٦٨٢) .

٥٩. الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٥٤).

٦٠. النشر في القراءات العشر، المؤلف : شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، المحقق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية] (٢/ ٢٧) .

٦١. الكتاب لسيبويه (٤/ ٤٣٢).

٦٢. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد (ص: ١٨٩) .